عصافير من الورد لأطفال فلسطين

راسم المدهون

أجيء إليها . . .
مباركة نسمة من نعاس تداعبنا فنطيع
نمدّ لها طرف القلب
حبة توت
توتيجاً من الورد
قبرةٌ بالندى والضياء تغنّت بأبواب ذاك الصباح
البدائيّ
قلباً من الفطر ،
يقتسم الصبية الجائعون بفيء بقاياه
إني أجيء إليها وتأتي إلي .
طالع من فمي كل هذا الغناء الحزين
ساقط في يدي
كل هذا الأنين
حبة التوت . .
ثم التويجة . .
قبرة الرملِ والفطر . .
صبيتنا الجائعون . . .
إني أبارك في غفوة الكفّ بين يديها
الغناء الحزين .
فتدور بخاطرها صبوتي ،
تتساءل :
هل جردته المسافات من دمه
أم ترى عرّبته البلاد بحلم يدور
ويهوي على الأرصفه

وتفور بخاطرها صبوتي
فتعيد التساؤ ل :
هل أفرغ الليل صدر حبيبي من الصبّ
حتى استفاق
أم هو البحر يأخذه للأساطير
يعبره موجة موجة فوق حلم جميل يطوف البلاد
يا حبيبي . . . تمهل على الرمل
منفاك من إبرٍ
جمرة ودم
وانتظار طويل . . .
مباركة لحظة من نعاس تداعبنا فنطيع
نمدّ لها طرف القلب
حبة توت
توتيجاً من الورد
قبرة بالندى والضياء
فلماذا البكاء
ولماذا المدائن ضاقت بسكانها
ويضيق المدى بطيور السماء . . .
ولماذا البكاء ؟

* * *

كانوا يصطادون الضوء على شُفرات الحلم .
عصافير من الفرح الطفلي . . .
يحلم أوّلهم أن العالم ميراث الضعفاء
يبتسم لمن يعرفهم . . .
ولمن لا يعرف عنهم غير مسوح الحزن ،
ويلمح في أعينهم نهر الحب الدافق
والفرح العادي فيحلم معهم . . .
كان الثاني يذكر اسم حبيبته إن مرت
فوق الرمل
الأبيض نسمة ريح .
أو داعب وجه مدينته صبح
فاسترخت عند تخوم النوم
كان الثالث يغفو بين الصحو وبين الحلم
ينتظر المطر الهاطل من صحن الأفق
الفضي على
الأطفال التعساء
حلوى ومزامير
وثياباً من ذهب وحرير .
كانوا يصطادون الضوء على شفرات الحلم .
عصافير من الفرح الطفلي . . .
وتفرّق جمعُهمُ . . .
جاء الوقت الذهبيّ
وجاء الوقت الخشبيّ
وجاء الحزن ،
وجاء المنفى ،
الجلادون ،
القتلة . . .
صوت من أطراف العالم غرّبهم
أخرجهم من ملكوت طفولتهم .
من يأتي الآن يقص عليهم
فرح الماء الهاطل في الصحراء
ينبت قمحاً للفقراء
من يأتي الآن يقول لهم أجوبةً عن أسئلة
في أعينهم
أطفال فلسطين التعساء
من يأتي الآن ويأخذهم
لبلاد لا يتباطأ فيها الصبح
ولا يحترق الآباء ؟

* * *

يا حبيبي الذي غرّب القلبَ في لحظة حزنه
ها أنا ذبت في لغة الآه
مرمرني الشوق
إني أعود إليك
مباركة نسمة من نعاس تداعبنا فنطيع
نمد لها حبة القلب
تأكل . .
ثم نجوع . . . فنأكل
حبة توت . .
نصيخ لقبّرة بالندى والضياء
غنت بأبواب ذاك الصباح البدائي . . .
نعطي لأطفالنا وجع العمر
يقتسمون الغنيمة منفى وموتاً .

إنها الآن تأكلهم . . . واحداً واحدا
إنها الآن تذبحهم . . . واحداً واحدا
بلاد من الدم والياسمين
ستأكل أطفالها الجائعين
بلاد من الدم والياسمين
تبيع لأطفالها قسطهم من نعاس وجوع
وتأخذ منهم بقايا النعاس
ثم تذبحهم واحداً . . واحدا . .
ثم تبكي عليهم غناء حزين .
آه قبرة الرمل
أنت التي بالندى والضياء تغنّت بأبوابنا
في الصباح البدائي . .
إن حبيبي يحب الندى ،
فامنحيه الصباح
وتغني له بالكلام المباح .
يا حبيبي الذي غرّبتني عن العمر
غربته وتخوم البكاء
مباركة نسمة من نعاس تداعبنا فنطيع
نمدّ لها حبة القلب
غفوته . . . فتعال إليّ .
واسترح ها هنا في يدي .
ذهب العمر بالعمر ،
إن البلاد البعيدة
تجيء بأبنائها الضائعين
وإن البلاد السعيدة
يغادرها الخوفُ ،
أبناؤها يأكلون الحجارة والحلمَ
مرّي عليهم . .
وغني لهم . .
أطلقيهم بذاك الصباح البدائي
يلتقطون زهور البنفسج والقمح
مرّي عليهم . . .
وغني لهم
وليكن زمن للغناء .

* * *

يا حبيبي السكاكين تبرق . .
زغب القطا راعش . .
والقتيل على البحر صار زنابق من حلمٍ
يستطيل . . ويحنو على الرمل
صبيتك الجائعون استفاقوا وضاعت
طقوس الفطام .
يا حبيبي المسافات توغلُ
هذا الظلام يفاجئنا فيضيع الكلامُ
إن أطفالنا ضائعون
وعالمنا يبتديء من قطار بعيد يغنّي له الضائعون
يبدؤ ون به وطناً من رماد
ثم ينتظرون صغيراً يناديهم للرصيف الذي
ضيّعوه . . وينتظرون

إن أطفالنا ضائعون .
المدائن ضاقت بسكانها
ويضيق المدى بطيور السماء

سكن الوقت في دمهم
إنهم يخرجون من الجلد
يحتفلون بعام يمر . .

وعام يجيء
المسافات تعرفهم ،
والطيور التي غادرت عشّها سوف تأتي إليهم

وتأتي إليهم نجومُ السماء
مباركةً نسمةً من نعاس تُداعبهم
يخرجون . .

نجيءُ جميعاً من الحزن والموت
ثم نبارك هذا الصباح البدائي
نأتي . .

نمدّ لهم أوّل القلب
حبة توت
تويجاً من الورد

قبرةً بالندى والضياء تغنّي بأبوابنا
ويدور الزمان .
آه أطفالنا الضائعين

لكم المجد ،
والأمهات ،
وهذا الغناء .

المسرجة

ممدوح السكاف

أوقدت مسرجتي بزيت القلبِ
بالمصل الصديديّ المصفّى
جاءني الليلُ ليشكوني إلى الحرّاسِ فارتعتُ
وأغفيتُ على العَتْمةِ
إنّي ما تعوّدْتُ سوى النوم على الضوءِ
أخاف الجنّ يأتوني
أخاف العسسَ البَريَّ
والنملَ
وأشكال التوابيت الطويلةِ
والمرايا تعكس الوجه الترابيَّ
وأسراب السحالي تتملّاني
وتعدو فوق جسمي
ما تعودتُ سوى النوم على الضوءِ
سوى اليقظة في العتمةِ
لكنْ
كيف جاء الليلُ من آفاقه الممدودة الظلِّ
على الأحراشِ
وأغوى مقلتي بالنومِ
فانهدّتْ مصاريعي
تكوّرتُ سريعاً
فوق نفسي
نمتُ كالقنفذ
لكنْ
لم يكن شوكٌ يُغنّي فوق جلدي
نمتُ كالأرنبِ
شَعري ناعمُ الملمسِ
والليل صديقي
وأنا والليلُ
كُنّا بؤبؤينْ
بتفلّاني
فأنسلُّ إلى تحت الوسادهْ
أتفلّاهُ
فيمضي . . .
وافترقنا نقطتينْ . .
سار في دربٍ وسرتُ . . .
وكسرتُ المسرجهْ

حمص